فهذا حرام لا يحل أكله وما سوى ذلك فالمرجع فيه إلى الأغلب من عادة العرب فما يستطيبه الأغلب
منهم فهو حلال وما يستخبثه الأغلب منهم ولا يأكلونه فهو حرام لأن الله خاطبهم بقوله أحل لكم
الطيبات فما استطابوه فهو حلال فهذا تقرير ما يحل وما يحرم من المطعومات وأما الجواب عن
الآية الكريمة فمن وجوه أحدها أن يكون المعنى لا أجد محرما مما كان أهل الجاهلية يحرمونه من البحائر
والسوائب وغيرها إلا ما أوحي إلي في هذه الآية الوجه الثاني أن يكون المراد وقت نزول هذه الآية
لم يكن محرم غير ما ذكر فيها ثم حرم بعد ذلك أشياء أخر الوجه الثالث يحتمل
أن هذا اللفظ العام خصص بدليل آخر وهو ما روي في السنة الوجه الرابع ما ذكر في هذه الآية
محرم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما ورد في السنة من المحرمات والله أعلم وفي هذه الآية
أحكام في قوله تعالى أو دما مسفوحا وهو ما سال من الحيوان في حال الحياة أو عند الذبح فإن ذلك الدم
حرام نجس وما سوى ذلك كالكبد والطحال فإنهما حلال لأنهما دمان جامدان وقد ورد الحديث بإباحتهما
ولا ما اختلط باللحم من الدم لأنه غير سائل قال عمران بن حدير سألت أبا مجلز عما يختلط باللحم من
الدم وعن القدر يرى فيها حمرة الدم فقال لا بأس بذلك إنما نهى عن الدم المسفوح وقال إبراهيم
النخعي لا بأس بالدم في عرق أو مخ إلا المسفوح وقال عكرمة لولا هذه الآية لتتبع المسلمون
الدم من العروق كما يتتبع اليهود وقوله تعالى فمن اضطر غير باغ ولا عاد لما بين المحرمات
في هذه الآية ثم أباح أكلها عند الاضطرار من غير بغي ولا عدوان وفي قوله فإن ربك غفور رحيم
دليل على الرخصة والإباحة عند الاضطرار وقوله تعالى وعلى الذين هادوا يعني اليهود حرمنا
كل ذي ظفر قال ابن عباس هو البعير والنعامة ونحو ذلك من الدواب وكل ما لم يكن مشقوق الأصابع
من البهائم والطير مثل البعير والنعامة والإوز والبط قال القتيبي هو كل ذي مخلب من الطير
وكل ذي حافر من الدواب وسمي الحافر ظفرا على الاستعارة ومن البقر والغنم حرمنا عليهم
شحومهما يعني شحم الجوف وهي الثروب وشحم الكليتين إلا ما حملت ظهورهما
يعني إلا ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما من الشحم فإنه غير محرم عليهم وقال السدي
وأبو صالح الألية مما حملت ظهورهما وهذا القول مختص بالغنم لأن البقر ليس له ألية أو
الحوايا وهي المباعر في قول ابن عباس وجمهور المفسرين واحدتها حاوية وحوية وقيل الحوايا
المباعر والمصارين وهي الدوايا التي تكون في بطن الشاة والمعنى أن الشحم الملتصق بالمباعر
والمصارين غير محرم على اليهود أو ما اختلط بعظم يعني شحم الألية لأنه اختلط بالعصعص
وكذا الشحم المختلط بالعظام التي تكون في الجنب والرأس والعين فكل ذلك حلال على اليهود
وحاصل هذا أن الذي حرم عليهم هو شحم الثرب وشحم الكلية وما عدا ذلك فهو حلال لهم ق
عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح بمكة إن الله
حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام فقيل يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنها يطلى
بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند ذلك قاتل الله اليهود إن الله لما حرم عليهم شحومها جملوه ثم باعوه
وأكلوا ثمنه قوله جملوه يعني أذابوه يقال أجملت الشحم وجملته إذا أذبته وجملته أكثر
وأفصح وقوله ذلك جزيناهم ببغيهم أي ذلك التحريم جزيناهم عقوبة ببغيهم يعني بسبب ظلمهم
وبغيهم وهو قتلهم الأنبياء وأخذهم الربا واستحلالهم أموال الناس بالباطل وإنا لصادقون
يعني في الإخبار عن بغيهم وفي الإخبار عن تخصيصهم بهذا التحريم فإن كذبوك يعني فإن
كذبك اليهود يا محمد فيما أخبرناك أنا حرمنا عليهم وأحللنا مما بيناه في هذه الآية المتقدمة
فقل ربكم ذو رحمة واسعة يعني بتأخير العقوبة عنكم فإن رحمته لسعة المسيء والمحسن

ولا يعجل

٢٢

فلا يعجل بالعقوبة على من كذبه أو عصاه ولا يرد بأسه يعني ولا يرد عذابه ونقمته إذا جاء وقتها
عن القوم المجرمين يعني الذين كذبوا الأنبياء وهم الكفار واليهود قوله عز وجل سيقول الذين أشركوا
لما لزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك بالله وتحريم ما لم يحرمه الله أخبر الله تعالى
عنهم بما سيقولونه فقال تعالى سيقول الذين أشركوا يعني مشركي قريش والعرب لو شاء الله ما أشركنا
ولا آباؤنا يعني من قبل قال المفسرون جعلوا قولهم لو شاء الله ما أشركنا حجة على إقامتهم على الكفر
والشرك وقالوا إن الله قادر على أن يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله فلولا أنه رضي ما نحن عليه
وأراده منا وأمرنا به لحال بيننا وبين ذلك ولا حرمنا من شيء يعني ما حرموه من البحائر والسوائب وغير
ذلك فقال عز وجل ردا عليهم وتكذيبا لهم كذلك كذب الذين من قبلهم يعني من كفار الأمم الخالية
الذين كانوا أمثال قومك كذبوا أنبياءهم وقالوا مثل قول هؤلاء حتى ذاقوا بأسنا يعني عذابنا قل
احتجت القدرية والمعتزلة بهذه الآية فقالوا إن القوم لما قالوا لو شاء الله ما أشركنا كذبهم الله
ورد عليهم بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم وأيضا فإن الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار صريح مذهب
الجبرية وهو قولهم لو شاء الله منا أن لا نشرك لم نشرك ولمنعنا عن هذا الكفر وحيث لم يمنعنا عنه
ثبت أنه مريد له وإذا أراده منا امتنع تركه منا وأجيب عن هذا بأن الله تعالى حكى عن هؤلاء
الكفار أنهم قالوا لو شاء الله ما أشركنا ثم ذكر عقيبه كذلك كذب الذين من قبلهم وهذا التكذيب
ليس هو في قولهم لو شاء الله ما أشركنا بل ذلك القول حق وصدق ولكن الكذب في قولهم إن الله
أمرنا به ورضي ما نحن عليه كما أخبر عنهم في سورة الأعراف وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها
آباءنا والله أمرنا بها فرد الله عليهم ذلك بقوله إن الله لا يأمر بالفحشاء والدليل أن التكذيب في
قولهم إن الله أمرنا بهذا ورضيه منا لا في قولهم لو شاء الله ما أشركنا قوله كذلك كذب الذين من قبلهم
بالتشديد ولو كان خبرا من الله عز وجل عن كذبهم في قولهم لو شاء الله ما أشركنا لقال كذلك كذب الذين
من قبلهم بالتخفيف فكان نسبتهم إلى الكذب لا إلى التكذيب وقال الحسن بن الفضل لو قالوا هذه
المقالة تعظيما وإجلالا لله ومعرفة بحقه وبما يقولون لما عابهم بذلك ولا كذبهم فإنهم قالوا هذه
المقالة تكذيبا وجدلا من غير معرفة بالله وبما يقولون وقيل في معنى الآية إنهم كانوا يقولون الحق
بهذه الكلمة وهو قوله لو شاء الله ما أشركنا إلا أنهم كانوا يعدونه عذرا لأنفسهم ويجعلونه
حجة لهم في ترك الإيمان والرد عليهم في ذلك أن أمر الله بمعزل عن مشيئته وإرادته فإن مشيئته
لا تكون عذرا لأحد فإن الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لأحد عليه في فعله فهو تعالى
يشاء الكفر من الكافر ولا يرضى له ولا يأمر به ومع هذا فيبعث الرسل إلى العبد ويأمره بالإيمان وورود
الأمر على خلاف الإرادة غير ممتنع فالحاصل أنه تعالى حكى عن الكفار أنهم يتمسكون بمشيئة الله في
شركهم وكفرهم فأخبر الله تعالى أن هذا التمسك فاسد باطل فإنه لا يلزم من ثبوت المشيئة لله
تعالى في كل الأمور دفع دعوة الأنبياء عليهم السلام والله أعلم وقوله تعالى قل هل عندكم من علم
أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين القائلين لو شاء الله ما أشركنا ولا حرمنا من شيء من الشرك وتحريم
ما أحل الله هل عندكم من علم بل عندكم ما تدعون من علم يعني من حجة وكتاب يوجب اليقين من العلم
فتخرجوه لنا أي فتظهروا ذلك العلم لنا وتبينوه كما بينا لكم خطأ قولكم وفعلكم وتناقضهم
في ذلك واستحالته في العقول إن تتبعون إلا الظن يعني فيما أنتم عليه من الشرك وتحريم ما لم
يحرمه الله عليكم وتحسبون أنكم على حق وإنما هو باطل وإن أنتم إلا تخرصون يعني وما أنتم في
ذلك كله إلا تكذبون وتقولون على الله الباطل قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة يعني قل يا محمد
لهؤلاء المشركين حين عجزوا عن إظهار علم أو حجة فلله الحجة البالغة يعني التامة على خلقه بإنزال الكتاب
وإرسال الرسول قال الربيع بن أنس لا حجة لأحد عصى الله أو أشرك به على الله ولكن لله الحجة البالغة

بأنه تعالى مريد لجميع الكائنات خيرها ... العبد
أي جميع ما ... له أن يتعلق
أن يتبع ... لأن مشيئته
مشيئته

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1